المحاضرة الثانية :

1)–النظريات المفسرة للحراك الاجتماعي:

تتفق أغلب المؤلفات التي تناولت الحراك الاجتماعي على أن المدرسة الأمريكية كانت الأسبق إلى طرح مفهوم في خضم الصراع الفكري والإستمولوجي الذي شهدته" النظرية" في علم الاجتماع المعاصر، ثم يبدوا أنّ المدارس الأوربية وعلى رأسها المدرسة الانجليزية والفرنسية، قد حاولت إدخال هذا المفهوم بواسطة الطرق الإحصائية وبواسطة التركيز على البحوث الامبريقية التي تأخذ بعين الاعتبار مجموعة من التغيرات كالحركات الاجتماعية والثقافية والتربوية.

1– التيارات الأساسية المفسرة للحراك الاجتماعي:

أ)ايميل دور كايم والحراك الاجتماعي:

يرى"باريتو" بأن "ايميل دور كايم" قد سبق غيره في التحدث عن عدم المساواة في الحظوظ وذلك استنادا لقوله "تقسيم العمل" تلقائيا من الداخل بدون أن يظهر أيّ شيء يعرقل مبادرات الأفراد(...) فإنّ الانسجام بين الطبائع الفردية والوظائف الاجتماعية لا يلبث أن يبرز على الأقل في نصف الحالات(..) والسبب الوحيد الذي يحدّد كيفية تقسيم العمل، هو كثرة الإمكانات، من الطبيعي أن يجد الإنسان سعادته في إكمال طبيعته فحاجياته تتعلق بوسائله في الجهاز، فإنّ كل عضو لا يطلب إلاّ الكمية الغذائية التي تحافظ عليه"[1].

أ) ابن خلدون ونظرية العراك الاجتماعي:

عالج" ابن خلدون" الحراك الاجتماعي في إطار مسألتي" الحراك والثبات"، وذلك بواسطة جدلية البدو والحضر، بقوله"إنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم هو اختلاف نحلتهم من المعاش(..)، وكان حينئذ اجتماعهم– يقصد البدء– وتعاونهم في حاجاتهم، وعمرانهم من القوت والسكن والدفء، إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة" حيث تناول ابن خلدون المؤشرات الأساسية للحراك الاجتماعي عندما تكلم عن كيفية اكتساب الأشخاص أو الطوائف للثروة أو المال أو الجاه، فحراك الأجيال لا يتم إلا طبقا لنمط حياتهم ومعيشتهم، مدخلا بذلك البعد الجغرافي للحراك الاجتماعي، ثم يتكلم" ابن خلدون" عن ما هو ضروري وكمالي في المجتمعات وهذا ما يؤثر على سيرورة الحراك الاجتماعي لتلك المجتمعات، فالضروري يقترن بحياة الشطف والحرمان، أما الكمالي فهو ما يزيد عن حاجات الناس الضرورية [2].

فالكمالي يشكل حراكا قويا" بالنسبة للأشخاص الذين اعتادوا على الضروري من العيش وهذا الانتقال لهم من طور إلى طور آخر من البداوة إلى الحضارة.

---

[1]-. عبد العزيز راس مال، كيف يتحرك المجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999 ،ط 2

[2]- المرجع نفسه: ص23- 24.

كما تناول ابن خلدون فكرة أساسية في الحراك الاجتماعي ألا وهي مؤشر" الثروة" وهذا المؤشر لم يتناوله حتى المنظرون المتخصصون في الحراك الاجتماعي، بقوله:" إن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة" وهنا يتناول ابن خلدون فكرة جوهرية في الحراك الاجتماعي، حيث أن الثروة تتجه اتجاها انضائيا: فكلما تقوّت الدولة كثرت الثروة ولم تظهر الاضطرابات على السطح، لكن بحيث يصيب الدولة الاضمحلال وإن الثروة تقل لكثرة توزيعها على الموالين والأمصار لبروز الثروات والانتفاضات نتيجة لعدم المساواة في الخطوط والظلم والقهر.

كما تناول "ابن خلدون" "الحراك الاجتماعي التنازلي" فخصصه في مصطلح"هرم أو شيخوخة الدولة" حيث تفسد الأقوات والنّعم على السلطة الحاكمة والارستقراطية وهنا كتجسيد الحراك الهابط بصورة مباشرة على الشعب والسلطة الحاكمة وهذا ما يؤثر على التجار والحرفيين والمزارعين حيث تفسد رؤوس أموالهم و لا تكبر وهنا يتجسد الحراك الهابط في نظر ابن خلدون.[3]

-المدارس الأوربية التقليدية:

أ) الوضعية:

تناول" اوجيست كونت في نظرية الحراك الاجتماعي من خلال المسلمة التالية" الإنسان لا يشكل البداية وإنما هو وريث"،حيث تناول في نظريته عن التطور الاجتماعي، ومكانة الطبقة العاملة، والطبقة البرجوازية الصاعدة في إطار هذا التطور، إلى أين يتجه وإلى أين يدفعنا تطور الإنسانية؟ وهل أخذ الطابع الصحيح؟

حيث تناول موضوع "الديناميكية الاجتماعية والحراك الاجتماعي" حيث يرتبط مفهوم الحراك عند "كونت" بمفهوم التقدم, بكل ما يشكّله من تسارع في التطور الاجتماعي، وتحديد التقسيم الخاص بالعمل في إطار مجموع العمل البشري، أي التغيّر الاجتماعي الذي يطرأ على البيئة الاجتماعية ولا يمكن أن نعزل الحراك الاجتماعي عن التغيير الاجتماعي وأثره على البيئة الاجتماعية[4].

ب)التطورية:

تنطلق "تطورية" سبنسر من قولة أساسية" التطور هو المفهوم الرئيسي لفهم العالم ، ومكانة الإنسان فيه" كما أن" تفسير الظواهر الاجتماعية تتمّ من خلال تحليل التوازن المتحرك" والحراك الاجتماعي ليس بمعزل عن هذا التطوّر والحركية، حيث يتكلم"هربرت سنبسر" عن نمطين من المجتمعات، المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري حيث يرتبط هذان النمطان بالآثار الخطيرة للحراك الاجتماعي.

- *فالنمط الأول*: يقع ضمن إطار ما يسمى "كيف صيانة المجتمع داخليا" والتعاون فيه اختياري, وغاية التنظيم الاجتماعي فيه تهدف إلى الزيادة في الإنتاج وتوفير الرفاهية الاقتصادية للمواطنين وهذا ما يسمى بالحراك الاقتصادي، وأيضا الاعتراف بالحقوق الشخصية في المجتمع وهو ما يسمى بالحراك

---

[3]– المرجع السابق: ص25-26- 27.

[4]- المرجع نفسه: ص 27- 28- 29.

الاعتباري، وظهور تنظيمات طوعية حرة تسعى لتحسين الظروف المادية والمعنوية للأفراد وهو ما يسمى بالحراك الاجتماعي المفتوح.

- *أما النمط الثاني*: يقع في إطار نفس النظام" أي الحماية من الأخطار التي كان يتعرض لها المجتمع من الخارج والتعاون الإجباري ووجود سلطة مركزية ومستويات عليا للضبط الاجتماعي، فالقائد العسكري هو الذي يتمتع بقوة مسيطرة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية يخضع فيها الأدنى للأعلى خضوعا تاما وهنا تجسيد الحراك الاجتماعي الهابط وحدودية العراك الصاعد.[5]

ج) ماكس فيبر والحراك الاجتماعي:

تكلم فيبر عن مظهرين اجتماعيين، يجسدان الحراك الاجتماعي في المجتمعات إلا وهما القوة والهيمنة، فالأول يعني وجود الانتصار داخل العلاقات الاجتماعية والإدارة الخاصة في مواجهة التحديات (السياسية، والاقتصادية، والدينية، والمنزلية و البيداغوجية) والثاني يعبر عن وجود خط للعثور على الأشخاص المطيعين للأمر، ذي محتوى محدد، فالهيمنة تتأسس على العلاقة بين القيادة والطاعة، وقد تتعلق بإرادة شخص خارج عن كل تجمع أو جهاز إداري.

قصد النمطيين نمطين للحراك الاجتماعي في مجتمع المفتوح والمغلق تتجاذبهما عدة أنشطة اجتماعية وللحظوظ دور أساسي في تحديد نوعية الحراك وآفاقه لدى العديد من علماء الاجتماع[6].

د) تيار كارل ماركس وفريدك انجلز:

يسهل ماركس وانجلز البيان الشيوعي بموقفها الواضح من مقولة"إن الحراك الاجتماعي في تاريخ المجتمعات إلى يومنا هذا تاريخ صراع الطبقات" ثم يضيفان" وهناك على مركب العصور: أحرارا وعبيدا أي سائدين ومسودين" وقد تطرقنا إلى خمسة مؤشرات في الحراك الاجتماعي أطلقنا عليه ما يسمى" بالحراك التنازلي" وتتمثل في الاقتراب والتناقض بين المدينة والريف وبنية العائلة وأخيرا مسألة التربية.

---

[5]– عبد العزيز راس المال: المرجع السابق، ص29- 30.

[6]- عريب سيد أحمد: الطبقات الاجتماعية، دار الجامعية للنشر، الإسكندرية- مصر، ص110.

هـ)دور الاغتراب الاجتماعي:

تناول كارل ماركس مفهوم الاستلاب والاغتراب من خلال طرحه إشكال ألا وهو أنّ المجتمعات تمتلك خيرات مادية ضئيلة فلا يستطيع الإنسان الحصول على هذه الخيرات بصورة خاصة واحتكارها من الطبقة البرجوازية، حيث يرى ماركس أنّ الإبداع الإنساني ضاع و انحرف عن هويته السوية حيث أنّ الملكية الخاصة تفضّل بين الإنسان وعمله، بينه وبين الجماعة الإنسانية التي يعيش معها، بتقرّب العامل عن عمله أولا عن نتائج عمله بفعل الملكية الخاصة، فعمل العامل لا يعود إليه بل يذهب إلى من يملك وسائل الإنتاج[7].

- حيث يقول:" وصلنا الآن إلى عتبة المدنية...لم يكن الناس في الدرج الأسفل،تبحثون إلاّ مباشر من أجل حاجاتهم الشخصية وكان التبادل الذي يجري بالمناسبة لا يتعلق إلا بالفائض الذي يزيد صدفة"حيث يرى كارل ماركس أنّ الفائض انتقل من الصدفة إلى مرحلة التنظيم فظهرت الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، ومن ثمّ انقسم المجتمع إلى طبقات وزالت الشيوعية البدائية، كما تغير أساس المجتمع الاقتصادي وظهر اغترار أو التسلاب العمال في عملهم وكرست ايديولوجية الطبقات الاجتماعية[8].
- ويقول أيضا أن العامل يفقد شخصيته ويتحول إلى قوة عمل تخضع لمعايير السوق مثله من السلعة، كما يفقد علويته وإنسانيته بفعل الاغتراب ويصح اعتباره"اجتماعيا منحطا"، فيزداد العامل فقرا، والرأسمالي غنى كلما زاد حجم الإنتاج، فالعامل يصنع الأشياء ولا يملكها، ينتج الخيرات ويموت جوعا ومرضا، وينشئ القصور ولا يجد لنفسه إلا الرواتب[9].

1- دور الملكية الخاصة:

إذا كانت الملكية خاصة في صدر الاغتراب، فينبغي تتبع تطورها التاريخي وآثار ذلك على حراك الفئات الاجتماعية أوثباتها.

إن وسائل الإنتاج هي التي تحدد في الحقيقة مستوى قوة الإنتاج، وهنا نطرح التساؤل الآتي: من يملك وسائل الإنتاج؟ هل هو المجتمع بأكمله؟ أم الأفراد والفئات التي تستخدمها لاستغلال أفراد آخرين وفئات أخرى؟.

والإجابة على ذلك تتمثل في توضيح حالة علاقة الإنتاج وحالة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الناس، علاقات تعاون وتعاضد، وأما الذين لا يملكون أيّة وسيلة إنتاج فلن يستطيعوا العيش إلا إذا وضعوا أنفسهم في خدمة من يملكها فيشغل البعض وشغل الآخرون هذا العمل، لأن التعاون لا يوجد إلا بين الذين يقومون بنفس الدور في الإنتاج فيكون تعاونا طبقيا، إذن نقسم المجتمع إلى طبقات اجتماعية متناقضة، فتكون الملكية خاصة لوسائل الإنتاج، ونعني بالطبقة الاجتماعية مجموعة من الناس يقومون في الإنتاج بدور مماثل، وتجمعهم

---

[7]- جورج بوليترز وآخرون: أصول الفلسفة الماركسية، ت، شعبان بركات ج2، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون ذكر سنة النشر، ص62.
[8]- المرجع نفسه: ص 63.
[9]- عبد العزيز راس المال: المرجع السابق، ص36.

علاقات مماثلة بالنسبة للآخرين، فليس التعبير الخاص بـ"الطبقة الاجتماعية" أي معنى إلا على مستوى علاقات الإنتاج إذ تتحد هذه الفكرة بنموذج الملكية أو بانعدام الملكية، ولا يجب أن نخلط هذه الفكرة بالمقولات الاجتماعية التي تمد بواسطة التقنيات والمهن وأوجه النشاط الاجتماعي الضرورية لحياة المجتمع[10].

فصور الملكية إذن هي التي تكون للعنصر الأساسي في علاقات الإنتاج، ومن البديهي أن الطبقة المستغلة تتخذ جميع الإجراءات والاحتياطات المقيدة من أجل حماية صور الملكية التي تضمن لها امتيازاتها، وتكون علاقات الإنتاج التي تحمل طابع الإنتاج والملكية الخاصة والأسباب الاقتصادية بأكمله[11].

أما في مرحلة الإقطاع تطورت الملكية الخاصة بوتائر أسرع من مرحلة الرّق و أصبحت مصدرا للتركيز الإقطاعيين، فعملية السلب التي تمت في مرحلة الإقطاع هي التي أوجدت كبار ملاك الأراضي الذين استفادوا من حراك اقتصادي هام، وذلك من خلال تسخير الآخرين للعمل في حيازتهم وامتصاص عروقهم وجهودهم[12].

2- التناقض بين المدينة والريف:

إن التناقض بين المدينة والريف، يوليه كل من ماركين وانجلز الأهمية المنظومة به لأنه أساس تقسيم العمل، ولأنه يساهم في تغيير البنيات الاجتماعية ويساهم في الحراك الاجتماعي الريفي، بل إنّ التاريخ الاقتصادي والحضاري للمجتمع بأسرة يرتبط بهذا الانقسام بين الحضر والريف حيث يقول كارل ماركس:" إن تقسيمالعمل المادي والذهني، هو انقسام المدينة عن الريف، والتعارض بين المدينة والريف يظهر مع الانتقال من الهمجية إلى الحضارة، من التنظيم القبلي إلى الدولة ويستمر عبر تاريخ الحضارة كله حتى أيامنا للحضارة".

ففي المجتمعات الرأسمالية مستوى الصراع الطبقي والحاجات الاجتماعية متماثلة بين الأرياف والمدن، كما أنّ الإنتاج الرأسمالي يساعد على تركيز سكان المدن في المناطق الكبرى، وعلى بعثرة سكان الأرياف ويهدم القيم التي اعتادها الشغيلة الريفيون، فالمستفيد من نماذج الحراك التصاعدي هم سكان المغربية مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية ومهما كان التمايز الاجتماعي واضحا بينهم.

ويقول انجلز أن التوزيع المنظم للسكان والتوثيق العقلاني بين الإنتاج الزراعي والصناعي وما ينجم عن ذلك من إتباع المواصلات كل هاته الأمور تساعد على حل التناقضات الحادة بين الريف والمدينة، لكن هذا الحل يشترط حل المسألة الاجتماعية، وذلك بإلغاء النظام البرجوازي الذي يساهم في إقامة الفوارق بين سكان الريف وسكان المدينة، وإلغاء المساكن المترفة التي تخص الطبقات الصالحة، لأنها منبع حراك قوي يصعد الهوة بين الطبقات المالكة والطبقات المحرومة[13].

---

[10]- جورج بوليتزر وآخرون: المرجع السابق، ص27.

[11]- المرجع نفسه: ص28.

[12]- عبد العزيز راس المال. المرجع السابق، ص37.

[13]- الرجع نفسه: ص43.

3- بنية العائلة والحراك:

أدت الثروة والميراث والملكية الخاصة والانقسام الطبقي أدوار الإشتبهات بها في تطور واختلاف الأشكال العائلية، فالعائلية باعتبارها خلية أساسية في المجتمع تتأثر بمختلف المؤسسات الموجودة في المجتمع مثل المدرسة، الجامعة.....إلخ وهذه الأنظمة أو المؤسسات تتبع التغيرات التي تحدث في البنية العضوية

فالميراث كشكل حقوقي من أشكال الملكية لم يظهر إلا طبقا لضرورة اجتماعية تتمثل في ترك الممالك والثروة لعائلته، وهذا الإطار من الميراث لم يخرجها عن إطار النسل الأمرسي(نسبة الأم)، فقرابة الأم هي المستفيدة من الحراك الاقتصادي[14].

لكن" الزوج الفردي" قلب الموضوع وأصبحت الثروة والميراث في إطار النسل الإبيسي أي نسبة الأب وتوجه الحراك الاقتصادي نحو طابع الأبوة والانتماء الأبوي.

ويرى"ماركس وانجلز" أن الحياة المرغوب فيها تقتضي القضاء على الخلية العائلية باعتبارها تنظيما فرعيا للمجتمع الفرداني[15].

4- مسألة التربية وعلاقتها بالطبيعة:

لقد خصص كارل ماكس فقرات كاملة في "رأس المال" لعمل الأطفال والنساء للمدرسة والذي يكرس الحراك الاجتماعي الهابط بالنسبة للطبقة الكادحة حيث تمكن كارل ماركس الحراك الاجتماعي ، فالأساتذة الذين يعلمون الأطفال ويعملون على الرفع من مستواهم التعليمي، الذي يعتبر من بين مؤشرات الحراك الاجتماعي الصاعد واحتكار التعليم المرموق بالنسبة للطبقة البرجوازية مما يكرس سياسة التباعد الطبقي ويؤثر على الحراك الصاعد بالنسبة للطبقية الدنيا [16].

كما تعلم انجلز في معالجته لمسألة التربية فأبرز سماتها الطبقية، وحدّد علاقة الطبيعة بالثقافة، فالثقافة هي ملك للطبيعة تمنحها الاعتبار والامتيازات والرفعة وعلى أساس موقفها تصعد الطبقة الجديدة الحاملة للواء التقدم، وتسقط الطبقة القديمة الحاملة للواء التأخر والانحطاط وهنا يكون الحراك الصاعد بالنسبة للطبيعة ويكون الحراك النازل بالنسبة للطبقة القديمة، فتتولد الطبقة الاجتماعية والتناقض بين الشراء والفقر وتوليد استيلاء الطليعة المثقفة على الوقت الحر الذي يبدعه العمل وبذلك يصبح العلم رأس مالا أو وسيلة يرفه بها الغني عن نفسه[17].

---

[14]- المرجع نفسه ص 44

[15]- عبد العزيز راس المال: المرجع السابق، ص43.

[16]- المرجع نفسه: ص44.

[17]- المرجع نفسه: ص45.